تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

صرخة أخرى من العراق :

ما أطيب قلبك ، وما أكرم معدن نفسك .. لشد ما يعجبنى فيك إخلاصك للفن ، وتمسكك بالمثل العليا ، وتفانيك فى سبيل أنبل الغايات .. تخال الدنيا خلقت كما تشتهيها : نبل فى الطبع ، وحب للخير ، وعبادة للجمال !

لقد أثارت فى كلمتك عن « الفن الشهيد فى العراق » عواطف كثيرة .. وكنت فى كل لقاء لى معك أهم بأن أقول لك أنت صرخت صرختك المدوية لإنصاف شاعر واحد ، فى حين أن هناك عشرات من الأدباء والشعراء يتصارعون مع الحياة القاسية ، ويكافحون فى سبيل الحرية المسلوبة ، ويلاقون فى سبيل ذلك أشد العنت وأفظع التنكيل والاضطهاد !

يا أخى : إن المسألة ليست إنصاف شاعر أو ترضية أديب .. بل هى أعم من ذلك وأوسع شمولا . إنها مسألة الحق المهدور ، والمقاييس الخاطئة ، والضمائر التى أصابها الفساد فلم تشعر بالتبعة ، ولم تعبأ بالمسئولية ! إنها قصة كل بلد عربى ، المحسوبية فيه فوق كل قانون ، والعدالة فى أرضه ضرب من الأفلاطونية التى لا تطبق ، ومواطنوه درجات ورتب كعهود الرقيق !!

وحين تكون ذا ضمير نقى ونفس أبية ، فقد حكمت على نفسك بالإعدام فى أرض غريب عنها نقاء الضمير ، عزيز فيها إباء النفس .. إن نقاء الضمير ، وإباء النفس ، ووفاء القلب ، والإخلاص للمثل العليا ، عملة زائفة فى سوق أثمن بضاعة فيه أخس صفات الإنسان !

ولابد من أنك تعرف قصة الإله الذين يريدون أن يمسخوه عبدا ، أو العملاق الذى يريدون أن يصيروه قزما .. إنه صاحب القلم !! ذلك الذى يقف فى بدء حياته فى مفترق طريقين : إحداهما قصيرة مليئة بالرياحين ، وارفة الظلال غنية بالعطور .. إنها الطريق التى يصل فيها الحق وفقراء الذمة والمدعين فى الشرف إلى قمة المجد الزائف ، حين تدفعهم الجرأة إلى أن يسموا الأبيض أسود ، والحق باطلا ، والظلم عدالة ، والنخاسة ديمقراطية ، والرذيلة فضيلة ، إلى غير ذلك من قلب الأوضاع وعبث بالقيم .. ولا شك فى أنك تجد فى كل بلد عربى جمهرة كبيرة من أولئك المرجين الذين استبدلوا حياءهم بوقاحة ، ووضعوا مكان قلوبهم قطعة من النقود !! وإنك لن تجد أديبا سرفها تقبل عليه الحياة مبتسمة ، وتظله السعادة بجناحيها النورانيين إلا من هذه الطبقة ...

أما الطريق الثانية فتلك التى تقود سالكها شيئا فشيئا إلى الموت البطىء .. تلك التى تجعله دائما فى عداء مع الحياة ! تلك التى تحرمه مما تحل الرأفة للحيوان الأعجم من قوت ومأوى .. وما تستوجبه الطبيعة من رعاية ! آه ما أقسى الظروف .. لقد عاهدت نفسى ألا أتحدث عن نفسى .. وأرانى اليوم مرغما على نقض العهد لأن الإناء قد فاض ، وامتلأ صدرى بما يشبه القيح!

أغلب الظن أنك تعرف قصة حياتى فى مصر .. أو قل طرفا منها . وأغلب الظن كذلك أنك تعرف كيف كنت أكافح وحيداً قسوة الحياة الجافية ومرارة الدنيا العبوس .. وكيف كنت أجهد جهدى لا لأستمتع بنعيم الحياة أو لأنال وطراً من عهد الشباب ، بل أقنع بالكفاف لمواصلة دراستى الجامعية .. وكنت دائماً تهمنى بالنشاط .. عجيب أمرك والله ! .. كأنك لا تعرف أن القلم مهما خط وسطر وملأ الصفحات فلا يبقى بحظ يسير من أعباء الحياة !! إذا تنزه القلم عن أن يكون مأجورا ، وأبى الضمير إلا أن يكون أبيض الجبين ، وأخلص القلب للثالوث المقدس : الحق والعدالة والحرية !!

إننى لأذكر تلك الأيام والدموع تملأ قلبى ؛ فقد كانت شديدة القسوة ، ثقيلة الوطأة ، عظيمة التكاليف .. وفى سماء

* * *

وخيم الصمت سوى نبأة ... من الصدى قد آذنت باختفاء
فأذعنت روحى ، وعادت إلى ... دنيا الشقاء البكر والأشقياء
ولم تزل تعجب مما رأت ... فى ليلة نشوى بخمر الضياء
أكان وهما شاعرى الرؤى ... أم كان حلماً ساحرى البهاء ؟

ابراهيم محمد نجا

حياتي الحالكة تسطع مصر الكريمة كنجم منور : فإنني مهما كنت قليل الحظ من الوفاء فستظل لمصر منزلة أعظم بها من منزلة ، فقد أخذت بيدي من حيث نبذني وطني ، وأشفقت على من حيث لم أعرف من وطني إلا غلظة القلب ، وخشونة الجانب !

وطني ! .. تلك الأغنية الحبيبة التي كنت أرددها في ليالي السهاد .. وتلك الكأس التي تنعش روحي كلما أصابها جفاف الحياة .. لقد كنت أذكر وطني دائماً ، وأجاهد لأرفع سمعته ، وأعرف الناس بالشعب الذي أنا منه .. ومع ذلك فوطني شحيح على ، ضنين بكل ما يثبت أن العراقيين متساوون في الحقوق !!

وفي كل سنة أذهب إلى بغداد لأنال ما يقره القانون لي من حق كطالب علم ، غير أن الأبواب تغلق في وجهي ، ويحال بيني وبين حكم القانون ، وأرجع إلى مصر خاوي الوفاض إلا من تلك العزيمة على مجابهة الحياة ومجالدة الأيام !

إن الحيرة لتشدد على الخناق ! أأنا لا أستحق مقداراً ضئيلا من المال أستعين به على طلب العلم ، في الوقت الذي تتدفق فيه الأموال من غير حساب لغير وجه الحق ؟! .. وهل أنا دون أولئك الذين تتدفق عليهم الأموال باسم العلم وهم بين كؤوس الطلى ومهرجان الرذيلة ؟! أحق أنني لا أستحق بعض ما يناله أصحاب الكروش والذين يحسبون الحياة امتلاء معدة حتى التخمة ، وإراقة الأموال على أقدام الغانيات وتفريغ الجيوب على الموائد الخضراء ؟!

لا يا صديق .. لقد أثرت شجني وملأت صدري بكوامن الهموم ، أنا الذي أحاول دائماً أن أنظر إلى الحياة على أنها فصل قصير من رواية ساخرة .. لا أطيق اليوم أن ابتسم وقلبي يشرق بالدمع ، وصدري يعصف فيه الألم الحاد ، ونفسي فريسة للاحزان !

إنني أكتب إليك هذه الرسالة لا لترفعها إلى معالي وزير المعارف في العراق .. بل هي هزة ألم اعترت كياني فسطرتها لك . لأن المرء قد يجد نفسه في بعض الأحيان أمام قوة هائلة تدفعه من الداخل إلى أن يقول .. إلى أن ينشد لحناً حزيناً .. إلى أن يفضي ببعض ما في نفسه !

إنني جئت إليك لا لأتظلم عن نفسي .. فغداً سوف أدخل المستشفى ، ومن يدري ؟! .. فقد أشهد خاتمة المهزلة ... مهزلة الحياة .. وأنا معلق بين السماء والأرض .. ولكن جئت لأتظلم عن كثير ممن يقضون حياتهم على مضض ، بعيداً عن رحمة الحكومة وحماية القانون !!

يا صديق .. إنها قصة الظلم وإليك شكاة الثائر ، لأن النقمة تتحول في نفسي إلى معدن كريم .. هو الجهاد ! ذلك الغذاء الروحي لنفوس حرمها الناس من الغذاء المادي .. وهو أدنى درجات الحياة !!

وتقبل من أخيك كل احترام وتقدير ؟

« القاهرة » غائب طعمة فرمان

أنا من الذين يتقبلون الظلم راضين عنه مطمئنين إليه ، إذا كان فيه شيء من المساواة بين الناس . إنك حين تظلمني وتظلم سواي ولو بغير حق ، فظلمك للجميع إن لم يكن في منطق الفكر عدلا فهو عدل في منطق الشعور والوجدان ! وفي مثل هذه اللحظات التي تروع بأمر القيد وتلوع بوخز الجراح ، تكون المشاعر الإنسانية هي صاحبة الحكم الأول على رواسب الظلم في قرار النفوس .. أريد أن أقول لك إننا نحتكم في مثل هذه اللحظات إلى العقل أقل مما نحتكم إلى العاطفة ، ولنا الكثير من العذر إذا نحن خضعنا لمنطق الشعور وسرنا حسب هواه ، وفهمنا الظلم على أنه عدل مطلق ما دام مقترناً بالمساواة !

أتقبل الظلم على هذا الأساس راضياً عنه مطمئناً إليه ، ما دمت أنظر إلى من حولي على أنهم أقران لي ونظراء : كانا في الضيم قلب إلى قلب ، وكانا في الظلم روح إلى روح .. أما أن تفرق بيننا في الحقوق فتعطي باليمين حين تسلب بالشمال ، فهذه هي اللحظات الأخرى التي تنحدر فيها الضمائر وتنطمس المشاعر ، وتنمحي من سفر الإنسانية أجمل ما فيه من سطور وأفضل ما فيه من كلمات !!

أقول هذا وأنا أقدم إليك هذه الرسالة التي أوقدت بين جنبي شعلة الأسى وألهبت بين يدي شباة القلم .. وتترنح الألفاظ على فمي وأنا أستعرض مرحلة أخرى من مراحل الكفاح ، الكفاح المقدس في سبيل العلم . نعم ، مرحلة أخرى .. فقد

كانت المرحلة الأولى هى تلك التى حدثتك عنها على صفحات الرسالة : إنها محنة تتبعها محنة ، وصرخة تعقبها صرخة ، ومأساة تلحق بها مأساة — ويا رنة الأسف للعراق الشقيق ويا رحمة الله للشباب الشهيد !

بالأمس عاش «الناصرى» غريباً فى وطنه وغريباً فى باريس، واليوم يستشعر « غائب » لذع الغربة فى القاهرة بعد أن لفحته بنارها فى بغداد . . وذنب الأديب والشاعر أن كليهما آثر العلم وآمن به ، وأحب العراق وأخلص له ، وأراد أن يقبس من وهج المعرفة ليعكسها على وطنه فنونا من الضياء . ولكن رياح الظلم قد اطفأت مصباح الأديب فبقى فى الظلام ، وطوت جناح الشاعر فكف عن التحليق . . وذلك هو حكم العراق العادل حين يتطلع المخلصون إلى عدالة الأوطان !

وبعد هذا تسمع من يقول لك إن الشباب قد كفروا بالقيم، وسخروا من المثل ، وانحرفوا عن الطريق .. وماذا يفعل الشباب وهم يرون القيم الفاضلة تداس بالأقدام ، والمثل العالية تمرغ فى التراب ، والطريق القويم يملأ بالصخور والأشواك ؟ماذا يفعلون وقد عصفت الأهواء بكل ما بقى فى نفوسهم من أمن وبكل ما استقر بين جوانحهم من إيمان ! هذا الشاعر المكافح يحال بينه وبين العلم لأنه ليس من أصحاب الثراء ، وهذا الأديب المجاهد تغلق فى وجهه الأبواب لأنه ليس من أقارب الوزراء .. ويصل الذين قد عمرت منهم الجيوب وأقفرت العقول ، وقضوا حياتهم وهم ضيوف على موائد اللئق والجهل والنفاق !!

أنا والله أكاد أكفر بالضمير الإنسانى لولا بقية من أمل .. بقية أحتفظ بها للغد القريب أو الغد البعيد ، الغد الذى قلت عنه من قبل إنه قد يزف الربيع إلى جفاف الخصون ، ويطلق الأحرار من زوايا السجون، ويحمل خمرة الحلوان إلى ندامى الشجن .. الغد الذى قد يأتى بقلوب غير القلوب ، وعقول غير العقول ، وقادة غير القادة ، وعندئذ يجد الشباب المحيرون ذلك الظل الوريف الذى يحميهم من وقدة القيظ ولفح الهجير !

ماذا أقول لهذا الصديق الذى كنت أرقب خطواته فى طريق العلم ، وجهاده فى ميدان الأدب ، وصبره على تجهم الأيام ؟ ماذا أقول له وقد ترك الجامعة إلى المستشفى ، وحرم رؤية الأستاذ ليشقى برؤية الطبيب ، وهجر دنيا القلم ليصبح وهو طريح الفراش يا أخى صبرا .. صبرا ولو كان هناك إنصاف وإجحاف ، ورعاية وإهمال ، وإغداق وحرمان ! حسبك أن النقمة تتحول فى نفسك إلى معدن كريم هو الجهاد ، وحسبى أن أسمع منك هذه الكلمة وهى صادقة ، وهى درع الأمان لكل محارب يتلقى الضربات ، وهى شاطئ النجاة لكل زورق يواجه العاصفة !!

عود الى مشكلة القراء :

تتبعت تعقيباتك عن أزمة القراء وإنها — والصدق يقال — لمبعث اليقين . إن قراء الكتاب فى هذه الأيام فئة قابلة للنقصان لا للزيادة، ولن يمر عدد من السنين — مع بقاء الأحوال الأخرى ثابتة كما يقول الاقتصاديون — إلا ويصبحون فى خبر كان .. أما عن قراء المقالة المحترمة ياسيدى فنظرتى إليهم أيضا سوداء ، والفئة الوافرة العدد هم قراء المقالة التافهة التى تنشر مذكرات فلانة الممثلة بقلم الكاتب التافه فلان ، وكأن مثل هذه السفاسف ومثل هذا المجون خليق بأن ينشر فيقرأ !

إن ذلك الذى هجر تجارة عصير الأذهان إلى تجارة عصير الفواكه لرجل ذكى بعيد النظر ، لأنه لم يجد فى الجو بارقة أمل لاستصلاح القراء فى مصر ، وإلا فما رأيك أننى لم أر فى كلية التجارة بجامعة فاروق طالبا يحمل كتابا أدبيا طوال ثلاث سنوات قضيتها فى هذه الكلية وكأن حرمها حرام على الكتاب ؟! وقد يقول قائل إن أبحاث الاقتصاد قد سدت من دونه المسالك ، ولكن للأسف فهى الأخرى مسجونة فى المكتبة لا تجد المخلص الذى يزورها إلا ما قد ندر !

الطلبة ياسيدى يريدون الحصول على الشهادة بأقصر طريق مشروع ، فالكتب تختصر، والمذكرات تختزل ، وهكذا دواليك إلى تنتهى إلى البرشامة الشهيرة .. إن رؤيتى أحمل كتابا أدبيا لكفيل باستدعاء أنظار الطلبة ، ما بين ساخر منى وبين مشفق على لإضاعة الوقت فى هذا الهراء ، بدلا من التمتع به متسكعا فى محطة الرمل على سبيل المثال .. وإنى لأعرف من الجامعيين من لا يشترى حتى الجريدة اليومية ، فبأى سلاح يتوجه هؤلاء إلى الحياة ؟ !

ولكنى لا أحملهم وحدهم عبء الاتهام ، بل أشرك معهم المدرس الابتدائى والثانوى فى تحمل التبعة ، فأغلب المدرسين ولا أقول كلهم قد هجروا الكتاب وتركوه ظهريا وكرسوا وقتهم

وجهدهم فى إعطاء الدروس الخصوصية التى هى كارثة التعليم بلا مراء . إن الطالب مرآة أستاذه وما تلقاه من الطالب فهو إرث انتهى إليه من الأستاذ !

أى مستقبل حالك السواد ينتظر الثقافة عموما فى مصر ، ولكن ماذنب عشاق العلم والأدب الذين يحرمون دون ما ذنب اقترفوه من مؤلفات كاتب مثلك ، يعلم الله مكانته فى قلبى وقلوب قرائه !! . إنك لا تتصور ياسيدى لهفتى ليوم الأحد من كل أسبوع كى أحصل على الرسالة ويكون أول باب أقرؤه هو « التعقيبات » !

ولكن ياسيدى ألا نضيف إلى فئة القراء فئة متعهدى النشر فى تعقيد هذا المشكل ؟ وما رأيك فى أننى ذهبت لشراء « رسائل الرافعى » للأستاذ محمود أبو رية فوجدته بأربعين قرشا ، مع العلم بأن ثمنه المعروف فى كل مكان هو ثلاثون قرشا !!.. أروى لك هذا منتظرا منك التعليق

« الاسكندرية » كمال عبد المنياوى

كلية التجارة جامعة فاروق

هذه الظواهر العجيبة التى يذكرها الأديب الفاضل حول مشكلة القراء ، قد عرضت لها بالبحث والمراجعة فيما كتبته قبل ذلك من فصول ، وبخاصة عندما تحدثت عن ثقافة الطلبة الجامعيين فى هذه الأيام .. وإذا كان الأديب الفاضل يقص علينا بعض مشاهداته فى جامعة فاروق ، فأود أن أقول له إن الحال لا تختلف كثيرا فى جامعة فؤاد ولا فى جامعة ابراهيم ، وان تختلف فى جامعة محمد على إن شاء الله !

إن ثقافة الجيل بوجه عام أمر يدعو إلى الأسف ويبعث على الرثاء ، ولست أدرى ما هى المعجزة التى يمكن أن تحدث حتى يقرأ الناس فى مصر ، سواء أكانوا جامعيين أم غير جامعيين .. أشهد أن لى صديقا يشتغل بمهنة التدريس فى جامعة فؤاد ، لايكاد يكف عن الشكوى مما يلقاه من جهل الطلبة بفنون العلم وشئون الحياة ، ولا يكاد ينتهى من سرد الأدلة وضرب الأمثال وهو يحدثنى عن طلبة الجامعة ، هؤلاء الذين صدموه بالواقع المر بعد أن عاد إليهم دكتورا من جامعة باريس .. ويحيط الصديق كفا يكف وهو ينظر إلى ثائرا ويقول : يا أخى أقسم لك أننى كنت أعرف أسرة فرنسية صديقة ، وما من مرة أزور فيها هذه الأسرة إلا وتقع عيناى على منظر فريد ، منظر الخادمة وبين يديها كتاب مفتوح ، لا تكاد تلقى به إلا إذا دعيت لمطلب من مطالب البيت أو لأمر من أمور المائدة .. وإذا حدثتك عن شغف الخادمة بالقراءة ودوامها بالاطلاع ، فلست بحاجة إلى أن أحدثك عن ثقافة السادة فهى فى غنى عن كل حديث ! الخادمات فى فرنسا يقرأن ، وطلبة الجامعة فى مصر لا يقرأون .. ألا تعذرنى إذا ما ضقت ذرعا بمكانى فى كلية الآداب !!

لقد عذرته بالطبع .. وبقى أن يعذرنى الأديب الفاضل إذا ما أرجأت طبع كتبى حتى تحدث المعجزة الثانية ، وهى أن ترفع وزارة المالية هذه الحواجز السخيفة التى تحول بين الكتاب المصرى وبين البلاد العربية .. إن الكاتب الذى يعتمد على مصر وحدها فى توزيع كتبه يجب أن يكون من الأثرياء ، ليستطيع أن يتحمل الخسارة المادية وهو يواجه أزمة القراء ! أما عن بعض الكتب التى تباع بأكثر من ثمنها المحدد فهى ظاهرة لم أسمع بها من قبل . لقد كنت أفهم مثلا أن يسلك الناشرون هذا الطريق إذا ما ساعدهم الجمهور القارئ وأقبل على آثار الكتاب ، أما أن يلجأوا إلى هذه الوسيلة وقراؤنا « الأفاضل » يؤثرون عصير البرتقال على عصارة الأذهان ، فهذا هو الغباء الذى يفوق كل غباء !!

وللأديب المنياوى أصدق الشكر على كريم تقديره ، وأخلص التهنئة على أن دراسة الأدب فى حياته لم تشغله عنها دراسة الاقتصاد !

صديقة البريد :

بين يدى كثير من الشعر ، وكثير من النثر ، وكثير من الأسئلة التى تدور فى محيط الأدب والفن . وأستعرض هذا الفيض من الرسائل لأقول لحضرات الشعراء والكتاب والسائلين ، إن « الرسالة » ان تحجم عن نشر ما يستحق أن ينشر ، وإذا كان هناك شىء من الإرجاء فرده إلى كثرة ما يصلنا من نفحات الأقلام ، وان تغلق الرسالة أبوابها يوما فى وجه أصحاب المواهب والملكات .. أما هؤلاء الذين يبعثون إلى بأسئلتهم الأدبية ، فموعدى معهم فى الأعداد المقبلة إن شاء الله

أنور المعداوى